الدكتورة نذيرة بوقبـــــــــس BOUGUEBS NADIRA

أستاذة محاضرة قسم – أ– bnadira@gmail.com

المدرسة العليا للأساتذة– آسيا جبار– قسنطينة (الجزائر)

المحور السادس:إدارة المجالات السياحية و المواقع و المعالم التاريخية و المواقع الاثرية

العنوان:المعالم التاريخية في المدن العتيقة: دراسة حالة مدينة قسنطينة

Historical Monuments in Antique Cities: The case of Constantine City

ملخص: تزخر مدينة قسنطينة العتيقة بمعالم تاريخية تتميز بخصوصية فريدة من نوعها، وتعكس ماضيها العريق الذي ساهمت في بنائه حضارات عديدة تعاقبت عليها عبر فترات زمنية مختلفة، ورغم الموروث التاريخي الحضاري والثقافي للمدينة إلا أنها عرفت تهميشا كبيرا لمعالمها التاريخية لعدة سنوات، وهذا ما أدى إلى تدهوره بسبب تداخل العديد من العوامل، ورغم المحاولات والنية الحسنة التي أبدتها الجهات المسؤولة في إعادة الاعتبار وتثمين المعالم التاريخية القائمة بالمدينة العتيقةلقسنطينة ضمن تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية سنة 2015،إلا أنها باءت بالفشل في أغلبها لأسباب عديدة مبهمة وغير واضحة.يهدف هذا البحث لوضع سياسة واضحة للحفاظ وحماية المعالم التاريخية من خلال إعادة إدماجها ضمن مكونات النسيج الحضري للمدينة، وفق طريقة تخدم سكان المدينة وتلبي حاجيات العصر دون المساس بالقيمة التراثية لها.وتكمن أهمية هذاالبحثفي الوصولإلىآفاقوتوجهاتمستقبليةللارتقاءبالمعالم التاريخية إلى أعلىالمستويات، والتوجه نحو سياسات وآليات تعمل على استغلالها في عمليات الجذب السياحي.

المفاهيم الأساسية: المعالم التاريخية، المدن العتيقة، الحفاظ، تدهور، الجذب السياحي.

المقدمة

تعتبر المعالم التاريخية ثروة ثمينة غير متجددة تروي بين طياتها تاريخ الحضارات الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والعمراني، بمعنى أنهاتعبر عن أصالة المدن، غير أنها في الكثير من الأحيان تكون محفوفة بالمخاطر الطبيعية والانتهاكات البشرية المقصودة وغير المقصودة، طبعا هذا ما ينعكس سلبا عليها ويجعلها عرضة للاندثار والضياع سواء على المدى القصير أو الطويل، وهذا ما جعلها محور اهتمام دولي وعالمي حيث نادت العديد من المنظمات العالمية بالمحافظة عليها من خلال العديد من المواثيق والمؤتمرات.

تزخر معظم المدن العتيقة الجزائرية بمعالم تاريخية متنوعةتتميز بخصوصية فريدة من نوعها، حيث تكونت عبر مختلف العصور التاريخية الماضية، وهيتعكس شخصية وثقافة وتاريخ وحضارة المجتمع الجزائري ومن ثم يمكن اعتبارها حلقة تواصل بين شعوب الماضي والحاضر.

رغم أهمية المعالم التاريخية سواء من الناحية التاريخية الحضارية والثقافية ودورها في تعزيز الهوية الوطنية ورغم أنهاتعتبر حاليا من أهم العوامل الاقتصادية على المستوى الدولي والعالمي وذلك من خلال استغلالها في عمليات الجذب السياحي. ورغم اهتمام الجزائر كغيرها من الدول بموضوع المعالم التاريخية من خلال تأطيرها بالعديد من التشريعات القانونية التي تنص على حمايتها والحفاظ عليها، إلا أنهاتعاني العديد من المظاهر السلبية وخير مثال على ذلك مدينة قسنطينة العتيقةالتي تعطي صورة حقيقية عن الإهمال والتهميش الكبير الذي تعاني منه معالمها التاريخية العريقة.

يمكن صياغة الإشكالية المطروحة في هذا البحث كما يلي: **ما هو واقعالمعالم التاريخية في مدينة قسنطينة العتيقة؟ وهل استفادت من مشاريع تسعى لتثمينها والارتقاء بها سابقا؟ وما هي السياسات والآليات الواجب اتباعها قصد إعادة ادماجها ضمن مكونات المدينة واستغلالها في عمليات الجذب السياحي؟**

يهدف هذا البحث لوضع سياسة واضحة للحفاظ وحماية المعالم التاريخية من خلال إعادة إدماجها ضمن مكونات النسيج الحضري للمدينة العتيقة وفق طريقة تخدم سكان المدينة وتلبي حاجيات العصر، دون المساس بالقيمة التراثية لها والتي يمكن تسخيرها لخدمة السياحة في المدينة وذلك من خلال عمليات إعادة التأهيل وترميم مختلف المعالم التاريخية والتراث العمراني بصفة عامة.

تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي في هذا البحث من خلال استقراء بعض الدراسات السابقة لموضوع الحفاظ على المعالم التاريخية، كما تم الاعتماد على العمل الميداني عبر خرجات ميدانية لمدينة قسنطينة العتيقة ومعاينة المباني والمعالم التراثية الموجودة فيها.

I. الإطار النظري لدراسة المعالم التاريخية في المدن العتيقة

يعتبر موضوع دراسةالمعالم التاريخيةفي المدن العتيقة من المواضيع الهامةالتي تحتاج إلى دقة كبيرة في المعالجة والتحليل،ومن أجل تقييم دقيق ومفصل له تمت دراسته من خلال رؤية شاملة و هادفة له وذلك بالإلمام بمختلف جوانبه النظرية والمتمثلة فيما يلي:

1.تعريف المعالم التاريخية

تمثل المعالم التاريخية صنف من أصناف التراث العمراني وهي تشمل المباني ذات الأهمية التاريخية والأثريةوالفنيةوالعلميةوالاجتماعية،بمافيهاالزخارفوالأثاثالثابت(المنظمة العربية للتربية والثقافة، 2017،ص

04)[1]، وتصنف المعالم التاريخية حسب القانون الجزائري 98-04 المتعلق بحماية التراث العمراني ضمن صنف الممتلكات الثقافية العقارية، حيث عرفها هذا القانون بأنها "أي إنشاء هندسي معماري منفرد أو مجموع يقوم شاهدا على حضارة معينة أو على تطور هام أو حداثة تاريخية. مثل المنجزات المعمارية الكبرى والرسم والنقش والفن الزخرفي والخط العربي، والمباني أو المجمعات المعلمية الفخمة ذات الطابع الديني أو العسكري أو المدني أو الزراعي أو الصناعي، وهياكل عصر ماقبل التاريخ والمعالم الجنائزية أو المدافن، والمغارات والكهوف واللوحات والرسوم الصخرية، والنصب التذكارية، والهياكل أو العناصر المعزولة التي لها صلة بالأحداث الكبرى في التاريخ الوطني"(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 1998، ص 6)[2].

2. أهمية المعالم التاريخية في المدن العتيقة

تتميز المعالم التاريخية بأهمية بالغة تشمل عدة ميادين منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتاريخية، حيث أنها تساهم بشكل مباشر في تنمية المدن العتيقة من خلال استغلالها في عمليات الجذب السياحي وما يترتب عنه من أرباح وتوفير مناصب الشغل للسكان المحليين، مع إحياء القيم الاجتماعية بكل أنواعها كالعودة للمهن والحرف التقليدية والعادات والتقاليد، ومن ثم المحافظة على الثقافة المحلية وهوية المجتمعات المستمدة من تاريخها وحضاراتها السابقة.

3. أسباب تدهور المعالم التاريخية في المدن العتيقة

تعتبر المعالم التاريخية في المدن العتيقةذاكرة المجتمعات فمن خلالها يمكن فهم الحاضر العمراني بمشاكله ووضع تصورات للمستقبل القريب والبعيد، وعدم الاهتمام بها يشكل تهديد للهوية التاريخية والحضارية والدينية للمجتمعات خاصة وأنها تتأثر غالبا بالعديد من العوامل المهددة لأمنها وسلامتها منها ما يلي:

1.3.العوامل الطبيعية: تتمثل أساسا في عناصر المناخ بأنواعها: كالأمطار والرياح والحرارة والتي تعمل بفعل قساوتها وتكرارها على تآكل بنية مكونات المعالم التاريخية في المدن العتيقة خاصة أنها قديمة وبنيتها لا تحتمل قساوة المناخ. إضافة للكوارث الطبيعية كالزلازل والانزلاقات الأرضية والبراكين والتي تعمل بفعل قوتها على التهديم الكلي أو الجزئي لهذه المعالم.

---

[1]. المنظمةالعربيةللتربيةوالثقافةوالعلوم.(2017).ميثاقالمحافظةعلىالتراثالعمرانيفيالدولالعربيةوتنميته،جامعةالدولالعربية.

[2] . الجريدةالرسميةللجمهوريةالجزائرية. (1998).القانون 98- 04 المتعلقبحمايةالتراثالعمرانيالمؤرخبتاريخ 15 جوان 1998،المادة (17)، (44).

2.3.العوامل البشرية:تدخل ضمن العوامل البشرية العديد من المؤثرات المهددة بزوال المعالم التاريخيةفي المدن العتيقة منها ما يتعلق **بالسكان** كهجرتهم مثلا نحو المباني ذات القيمة التاريخية وإقامتهم فيها دون مراعاة الحالة التقنية المهترئة لهذه المباني الراجعة إلى قدمها والذي يعود في بعض الأحيان حتى إلى الحضارات القديمة. ومنها ما يتعلق بجانب **التسيير** وغياب الرقابة والصرامة في تطبيق القانون ميدانيا من طرف المصالح المعنية بذلك.

3.3.العوامل الاقتصادية: يحتاج الارتقاء بالمعالم التاريخية في المدن العتيقة إلى سياسات واضحة وآليات علمية وتقنية دقيقة، لتحقيقها ميدانيا يجب أن تتوفر قاعدة اقتصادية صلبة، وذلك بتخصيص غلاف مالي معتبر يستثمر في عدة مشاريع لها نفس الوجهة وهي الارتقاء وتثمين المعالم التاريخية في المدن العتيقة والارتقاء بها والمحافظة عليها، كاستثمارها في السياحة من خلال إعادة تأهيل مبانيها .

4.طرق الحفاظ على المعالم التاريخية في المدن العتيقة

تمثل المعالم التاريخية القائمة بالمدن العتيقة تاريخ المجتمعات العمراني الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، حيث تعكس من خلال أصالة مبانيها بصمة الأجيال السابقة وخصائص حضاراتها و ثقافاتها التي توارثتها الأجيال عبر الزمن، وعدم الاهتمام بها يعتبر تهديد لهوية المجتمعات. لذلك أصبحت حماية المعالم التاريخية في المدن العتيقة والحفاظ عليها ضرورة لا بد منها بل هي مسؤولية الجميع لأنها أمانة ستسلم للأجيال اللاحقة في أحسن حال.

وقد عرف الحفاظ بأنه"مفهومشاملوكبيريمثلعدةمحاورتتراوحبينالحفاظعلىالبيئةالطبيعيةومواردهاوبينالحفاظعلىالبيئةالحضريةالتيتشملالبيئةالعمرانيةوالبيئةالانسانيةبتفاعلاتهاوعلاقاتأفرادها"(عصام الدين محمد علي، 2020، ص108)[3].

يمكن القول من هذا المنطلق أن الحفاظ على المعالم التاريخية في المدن العتيقة هو ضرورة أساسية لتنمية المدن في كل الدول التي تسعى للحفاظ على أصالتها المكتسبة منذ زمن بعيد، حيث يكون هذا الحفاظ بأساليب وطرق مختلفة تختلف حسب ما تتطلبه كل حالة ومن بينها ما يلي:

1.4.إعادة التأهيل

[3].عصامالدينمحمدعلي.(2020) .دورالتشريعاتالمصريةفيالحفاظعلىالتراثالعمرانيواستثمارهسياحي، in Symposium Webinar on Future of Urban Development : Al-Jouf Province (Opportnities and Challenges), El- Jouf University, 104-126.

تتمثل في مختلف الإصلاحات التي تتم على المعالم التاريخية حسب ما تتطلبه حالتها، من خلال بعض التغيرات غير جذرية والإضافات الطفيفة التي تؤهلها للاستخدام مرة أخرى دون المساس بقيمتها التاريخية.

2.4.إعادة البناء

تتمثل في إعادة بناء المعالم التاريخية كليا أو جزئيا من خلال جمع كل مكوناتها الأصلية وإعادة بنائها من جديد، وهذا يحدث خاصة عند تعرض هذه المعالم إلى أضرار تصل بها إلى حد الهدم الكلي أو الجزئي، وهي تحدث خاصة في حالة الكوارث الطبيعية أو الحروب.

3.4.الترميم

يتمثل في مختلف الإصلاحات والتعديلات التي تخص المعالم التاريخية التي تأثرت مع مرور الزمن بمختلف العوامل الطبيعية والبشرية، قصد إعادتها إلى حالتها الأصلية التي كانت عليها في الماضي، مع محاولة الحفاظ على كل التفاصيل التي ميزتها كالزخرفة ومواد بنائها (المحافظة الجانب الفني والتقني الأصلي لها).

4.4.التجديد

عرف التجديد بأنه"إضافةأشياءحديثةللمعلم التاريخيمثلاالكهرباءوالمصاعدوالتدفئة ..الخوهذهالإضافاتقدتوديبأضرارللمبنىتتفاوتجسامتهاالذلكفإنالمهندسين المتخصصينفيأعمالالترميميكونونعلىحذرشديدعندمعالجةمثلهذه الحالات"(جميلة الهادي الحميش، 2017، ص05)[4]

أي أن التجديد هو تجهيز المعالم التاريخية بما يتطلبه وقت القيام بهذه العملية، لكنه يتطلب دراسة دقيقة من طرف المختصين.

5.4.الصيانة

تتمثل في مختلف العمليات التقنية والفنية البسيطة والمناسبة التي تطبق بشكل دوري ودائم على المعالم التاريخية، حيث تحميها من التلف وتزيد من مدة بقائها بصورة حسنة وجيدة.

II. الإطار المجالي لمدينة قسنطينة

ستتم دراسة الإطار المجالي لمدينة قسنطينة من خلال التعرف على أهميتها الجغرافية ضمن إقليمها الشرقي، وأهم مميزاتها المجالية عبر المراحل التاريخية لتوسعها، وذلك بتتبع العناصر التالية:

[4]. جميلةالهاديالحنيش،رضاالصادقالرميح.(2017).إعادةاستخداماالمبنىالتاريخيوالأثري (ذوالقيمة) كمدخللحفاظعليه،المجلةالدوليةللعلوموالتقنية،(9) ، 20-01 .

1. الموقع الجغرافي لمدينة قسنطينةضمن الإقليم الشمال الشرقي

تزخر مدينة قسنطينة بمكانة متميزة في إقليم الشرق الجزائري منذ زمن بعيد، حيث كانت عاصمة منذ أكثر من 2000 سنة، وبذلك فهي مدينة عريقة تعاقبت عليها العديد من الحضارات. وهذا ما أهلها أن تكون اليوم حاضرة جهوية لإقليم الشرق الجزائري أحد الأقاليم الاقتصادية الهامة بالجزائر.

تتوسط مدينة قسنطينة الإقليم الشمال الشرقي الجزائري حيث تقع بين الشبكة الحضرية الساحلية التي تطل على البحر الأبيض المتوسط والداخلية التي تصل حتى الصحراء، فهي تمثل حلقة وصل بين المدن الشمالية الشرقية من جهة و المدن الجنوبية الشرقية من جهة أخرى، وذلك عن طريق شبكة طرق كثيفة وطنية و ولائية تلتقي في المدينة على شكل نجمي،مثل الطريق الوطني رقم (03) الرابط بين مدينة قسنطينة و ولاية سكيكدة من الجهة الشمالية وبين مدينة قسنطينة و ولاية باتنة من الجهة الجنوبية، بالإضافة إلى استفادتها بالطريق السيار شرق– غرب الذي سهل أكثر حركة المرور نحوهاإذن هذا ما جعلها مركز عبور و ملتقاتصالات رئيسي لكل مدن و ولايات الشرق الجزائري.

تزخر مدينة قسنطينة بموقع جغرافي استراتيجي أهّلها أن تكون عاصمة وحاضرة ذات وزن مهم في إقليم الشرق الجزائري.

2.نشأة مدينة قسنطينةالعتيقة

أثارت الكتابات التاريخية جدلا كبيرا بين المؤرخين و الباحثين حول تاريخ نشأة مدينة قسنطينة، في حين يرى البعض أن تاريخ هذه المدينة مازال يكتنفه الكثير من الغموض الذي يقف عائقا في سرده كغيره من تواريخ مدن أخرى.(محمد المهدي بن علي شغيب، 1980، ص 07)[5]عرفت مدينة قسنطينة منذ نشأتها تعاقب العديد من الحضارات عليهامما جعلها مسرحا للكثير من التغيرات المرتبطة أساسا بمتطلبات الفترات التاريخية التي شهدتها، ومن ثم تميزت المدينة خلال مراحل توسعها بمميزات عمرانيةساهمت بشكل مباشر في تكوين معالمها التاريخية الذي تزخر بها اليوم.

نشأت مدينة قسنطينةالعتيقة في البداية فوق صخرة على شكل مثلث قاعدته في الشمال ورأسه في الجنوبوبالضبط على جانبي وادي الرمال وبومرزوق، محاطة بعوائق وانحدارات شديدة زادت من أهمية موضعها. ومن ثم كان اختيار هذا الموضع بالدرجة الأولى لهدف دفاعي، وحتى العهد الروماني لم تعرف المدينة أي نوع من مظاهر التوسع العمراني، و مع مجيء الإسلام وبالضبط في فترة الحكم العثماني التي استمرت إلى أكثر من ثلاثة (03) قرون ابتداء من 1528 إلى 1837 (Benidir Fatiha, 2007,)

[5]. محمدالمهديبنعليشغيب. (1980).أمالحواضرفيالماضيوالحاضر،تاريخمدينةقسنطينة،دارالبعث،قسنطينة،الجزائر.

P45[6]ازدهرت وتطورت المدينة بشكل كبير في العديد من الميادين سواء **الاقتصادية**نتيجة موقعها الجغرافي الهام عبر الإقليم الشرقي، الذي جعلها منطقة مبادلات واسعة بين التل والصحراء، أو **الثقافية** من خلال الاهتمام ببناء المساجد والزويا التي كانت تعتبر مكان عبادة وتحفيظ القرآن ودراسة مختلف العلوم، أو **العمرانية** حيث توسعت داخل أسوارها وبلغت مساحتها 30 هكتار، وكان لها أربع أبواب هي: باب الواد،باب القنطرة، باب الجابية وباب الجديد، وتميزت هندستها المعمارية المستمدة من التخطيط العربي الإسلامي بالنمط الموحد المتراص يتكون من مساكن في أغلبها ذات ثلاث طوابق وعدد المساكن فيها أربعة عشر(14) مسكن(الصادق مزهود،1995، ص 26)[7] تميزت المدينة بشوارعها الضيقة وانعدام المساحات الخضراء فيها.

تعتبر مدينة قسنطينة العتيقة موروثا عمرانيا تم اكتاسبه عبر الزمن، حيث مثلت في تلك الفترة المدينة العربية الإسلامية الأصيلةوهذا ما عزز وثمن المعالم التاريخية العريقة التي تزخر بها المدينة حاليا.

مثلتالمدينة المبنية على الصخرة كامل حدود المدينة حتى سقوطها في يدالاحتلال الفرنسي في 13 أكتوبر 1837،فمثلها كمثل كل المدن الجزائرية في تلك الفترةفهي لم تكنتملكمخطط توجيهي للتعميرحيث تم تعميرها بشكل تدريجي حسب الاحتياجات.وكان ذلك بالتدخل على نسيج المدينة الأم بإزالة جزء كبير من مساكنها، حيث تم تقسيمها إلى شطرين أعلى وأسفل بشق طريق في وسطها (شارع العربي بن مهيدي) الهدف منه هوربط جسر القنطرة القريب من محطة القطار بساحة(La brèche)،بنيت على جوانبه مباني جماعية ذات النمط الأوروبي. حيث الجزء السفلى للصخرة أو المدينة خصص للمسلمين وجزء منه لليهود أما الجزء العلوي فأغلبه كان للفرنسيين.

"في سنة 1840شرع في بناء ثكنة عسكرية (القصبة) تقدر مساحتها بـ 5 هكتارات كما دعم الفرنسيين وجودهم المدني ببناء مباني إدارية على حساب المجال القديم للمدينة مثل دار الولاية التي أنشئت سنة 1849 و قصر البلدية سنة 1845وهذا من أجل إعطاء للمدينة صبغة فرنسية محضة"(الصادق مزهود،1995، ص 26)[8].

[6]Benidir, F. (2007). Urbanisme de Doctorat en architecture Université Mentouri-Constantir جزائر.

[7]. الصادقمزهود. (1995). أزمةالسكنفيض

[8]الصادقمزهود،مرجع سبق ذكره.

إذن في فترة الاستعمار الفرنسي استطاعت مدينة قسنطينةالعتيقة أن تجمع بين النمطين العربي الإسلامي والأوروبي، وهذا ما زاد من ثراء وتنوعالمعالم التاريخيةبها.

III. واقع المعالم التاريخية بمدينة قسنطينة العتيقة

تزخر مدينة قسنطينة العتيقةبمعالم تاريخية متنوعة ساهمت في بنائها حضارات عديدة تعاقبت عليها عبر فترات زمنية مختلفة، ومن بين أهم هذه المعالم التي لا تزال قائمةحاليا بالمدينة وحافظت على أصالتها من خلال مجابهتها لمختلف العوامل المساهمة في تغيرها طبيعية كانت أو بشرية، المباني ذات القيمة التاريخية كالمساجد والقصور والتي اهتم بتشييدها فترة الحكم العثماني، وكذلك الجسور وبعض المعالم التاريخية التي خلفها الاستعمار الفرنسي والتي سيتم التعرف عليها من خلال استعراض بعض النماذج لها فيما يلي:

1.المساجد

يعتبر بناء المساجد بالمدن خلال فترة الحكم العثماني من أولويات التخطيط العمراني والمعماري لها، نظرا لأهميتها الاجتماعية والدينية والتعليمية والثقافية حيث كانت بمثابة مكان للعبادة و حفظ القرآن وتحصيل العديد من العلوم. وهذا ما ساهم في نشر العلم والثقافة الإسلامية آن ذاك بين سكان المدينة ، وهذا ما .

تم تجسيده في مدينة قسنطينة التي تميزت في هذه الفترة بالازدهار الثقافي، ومن بين أبرز المساجد المصنفة كمعالم تاريخية للتراث العمراني الإسلامي بالمدينةوالتي ولا تزال شاهدا على الأصالة الإسلامية بفنها المعماري العتيق حتىسنة 2021 كما تبينه الصورة رقم (01) ما يلي:

صورة رقم(01):توزيع أهم مساجد المدينة العتيقة

1.1.المسجد الكبير

يعتبر هذا المسجد من أقدم مساجد مدينة قسنطينة العتيقة، تم بناؤه على "بقايا المعبد الروماني" (Meriem Redjem, 2020, pp 1-9)[9] وهو الشاهد الوحيد للعمارة الحمادية فيها، حيث شيد بين سنتي 1136- 1137م على يد الحماديين في قلب المدينة العتيقة وبالضبط في جزئها الجنوبي، وقد تعرض فترة الاستعمار الفرنسي إلى بتر جزء منه عند شق طرق العربي بن المهيدي الحالي، لكن فيما بعد تم إعادة تصميم واجهته الرئيسية المطلة على هذا الطريق بطريقة تحفظ نوعا ما طابعه المعماري الأصلي الحالي (Abdelouahab Bouchareb,2006,pp139-140)[10]، مما سبق يتبين أن هذا المسجد هو من أبرز المعالم التاريخية بالمدينة العتيقة. (أنظر الصورة رقم (02)).

2.1.مسجد سيدي لخضر

يقع مسجد سيدي لخضر في الجهة الشرقية للمدينة العتيقة بحي الجزارين،شيد فترة الحكم العثماني في عهد حسين بن حسين وبالضبط في الفترة الممتدة بين (1736-1754) يتميز بأعمدته الرخامية أما محرابه ومنبره فهو من الخشب المنقوش حيث اختاره العلامة عبد الحميد بن باديس كمقر لجمعية العلماء المسلمين(Centre National de Recherche en Archéologie, 2017)[11]وكان يقدم فيه

صورة رقم (02): مسجد سيدي لخضر

صورة رقم (03): مسجد الكبير

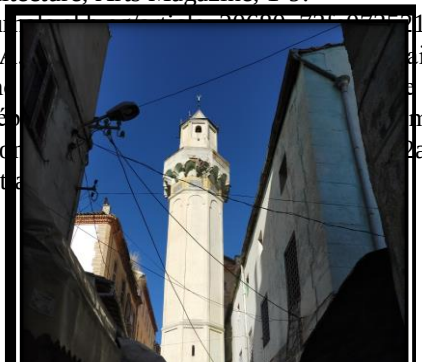

[9] . Redjem, M. (2017). Le rôle de la mosquée en Algérie dans la configuration de la ville à l'époque coloniale française. Architecture, Arts Magazine, 1-9.
https://mjaf.jou[illegible]/2020

[10] .Bouchareb, A[illegible]in de C[illegible]et l'architecture dans l'antiquité (Un[illegible]e de Do[illegible]niversité Mentouri, Constantine- dé[illegible]me.

[11] . Centre Natio[illegible]aout 20[illegible]r. Ministère de la culture. http://cnra.dz/at[illegible]

دروس التفسير والحديث. يعتبر هذا المسجد معلم من المعالم الدينية ذات القيمة التاريخية المعمارية وهو مكسب يضاف للتراث العمراني للمدينة العتيقة قسنطينة (أنظر الصورة رقم (03)).

3.1.مسجد الباي حسين

يقع مسجد الباي حسين في المدينة العتيقة محاذيا لقصر أحمد باي وساحة سي الحواس، كان يسمى قبل الاحتلال الفرنسي بجامع سوق الغزل (الصوف المنفوشة) حيث سمي آنذاك نسبة لسوق الصوف (سوق الغزل) الموجود بالقرب منه، بني بأمر من الباي حسين حوالي عام 1720 (تحقيق ميداني للباحثة 2020)[12] ، يعتبر هذا المسجد تحفة فنية معمارية تعكس أصالة فن العمارة الإسلامية من خلال الزخارف الرائعة الذي يتميز بها وقبابه المنحوتة بدقة، ونوفده ذات الزجاج الملون، مع بلاط السيراميك متعدد الألوان(Centre National de Recherche en Archéologie, 2017)[13](أنظر الصورة رقم (04)).

4.1.مسجد سيدي الكتاني يقع مسجد سيدي الكتاني شمال المدينة العتيقة مجاورا لسوق العصر تم تشييده عام 1776 على يد الحاكم العثماني صالح باي بن مصطفى الذي حكم مدينة قسنطينة للفترة الممتدة بين (1771–1792) (تحقيق ميداني للباحثة، 2020)[14]، حيث يعتبر هذا المسجد

[12]. تحقيقميدانيللباحثة 14 ديسمبر 2020.

13.Centre National de Recherche en Archéologie. (22aout 2017). Mosquée de souk El Ghezel. Ministère de la culture. http://cnra.dz/atlas/mosquee-de-souk-el-ghezel/

[14]. تحقيق ميداني للباحثة 14 ديسمبر 2020.

تحفة معمارية تعكس أصالة الفن المعماري الإسلامي تم جلب دعائمه الرخامية وأهم مواد بنائه من إيطاليا (أنظر الصورة رقم (05)).

صورة رقم (04): مسجد الباي حسين

صورة رقم (05): مسجد سدي الكتاني

المصدر: من التقاط الباحثة 14 ديسمبر 2020

2. قصر أحمد باي

يقع قصر أحمد باي في مدينة قسنطينة العتيقة مجاورا لمسجد الباي حسين، تم بناؤه في فترة الحكم العثماني بالمدينة، حيث تم البدأفي تشييده بأمر من الباي حسين آخر بايات قسنطينة وذلك سنة1826 وتم افتتاحه سنة 1835، يمتد على مساحة 5609 م^2 (Centre National de Recherche en Archéologie, [15] 2017)ويعتبر هذا القصر معلم من المعالم التاريخية العريقة بالمدينة، فهو بمثابة تحفة فنية معمارية و من أهم القصور التي بنيت فترة الحكم العثماني في الجزائر(أنظر الصورة رقم (06)).

صورة رقم (06): قصر أحمد باي

المصدر:من التقاط الباحثة14 ديسمبر 2020

[15]Centre National de Recherche en Archéologie. (22aout 2017). Palais Ahmed Bey. Ministère de la culture. http://cnra.dz/atlas/palais-ahmed-bey/

3.الجسور

ارتبط ذكر مدينة قسنطينة بكلمة الجسور فهي بمثابة بصمة أو خاصية تنفرد بها عن باقي المدن الجزائرية،وبذلك تعتبر الجسور من المعالم التاريخيةالثمينة ورثتها المدينة عن الحضارات التي تعاقبت عليها منذ عصور، حيث شيد أقدمها فترة الوجود الروماني بها بينما أغلبها ورثته عن فترة الاستعمار الفرنسي، يبلغ عددها حاليا ثمانية (08) سيتم التعرف على بعضها فقط كنماذج للمعالم التاريخية التي تزخر بها المدينةفيما يلي:

1.3.جسر باب القنطرة: يعتبر أقدم جسر شيد بمدينة قسنطينة فترة الوجود الروماني بها ليتم تجديده فترة الحكم العثماني بأمر من الحاكم العثماني صالح باي سنة 1792 ,MouhieddineKherouatou, 2016) (p55[16]، ومن ثم فهو يمثل معلما تاريخيامهما يربط المدينة العتيقة بالضفة المجاورة لها وضواحيها.

2.3.جسر سيدي راشد: شيد جسر سيدي راشد فترة الاستعمار الفرنسي وبالتحديد بين سنتي 1908-1912 للربط بين ضفتي واد الرمال، ومن جهة أخرى لربط المدينة القديمة بما جاورها من أحياء جديدة خارج الصخرة، وهومن أطول الجسور الحجرية في العالم يبلغ طوله 447 م يحتوي على 27 قوس أكبرها يبلغ طوله70م[17](Bernard PINCENT, 2008,p197) (انظر الصورة رقم (07))، يمثل هذا الجسر تحفة فنية معمارية اكتسبتهامدينة قسنطينة في رصيد معالمها التاريخيةالعريقة.

صورة رقم (07): جسر سيدي راشد

المصدر: من التقاط الباحثة13 جانفي 2021

[16] .Kherouatou, M. (2016). La mémoire vive au Cœur des cultures constructives à Constantine : un enjeu de sauvegarde. Revue Sciences et Technologie D – (43), 49-57, Université Frères Mentouri Constantine.

[17].Pincent.B, Rougdal, R., Panet, M., &Bentabet, A. (2008).Le pont sidi Rached à Constantine (Algérie) : une culée dans un grand glissement de terrain. Bulletin du Service Géologique National, 19(3), 197 – 215.

IV. تدهور المعالم التاريخية بمدينة قسنطينة العتيقة بين محاولات التثمين والإهمال

عرفت مدينة قسنطينة رغم موروثها التاريخي الحضاري منه والثقافي تهميشا كبيرا لمعالمها التاريخية للعديد من السنوات، وهذا ما أدى إلى تدهورها بسبب تداخل العديد من العوامل منها الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية إضافة إلى سوء التسيير (أنظر الصورة رقم (08))، حتى 30 ديسمبر 2012 أعلنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(ALESCO)مدينة قسنطينة عاصمة للثقافة العربية لسنة 2015 (Nassima Baziz,2018, p39)[18] لما لها من تاريخ وتراث ثقافي.

استفادت المدينة ضمن هذه الفعالية من عدة مشاريع هدفها هو إعادة الاعتبار وتثمين مختلف المعالم التاريخية ومعها مواقع ومناطق التراث العمراني للمدينة.

حيث تم وضع على مستوى اللجان التنظيمية لهذه التظاهرة وبالتحديد مديرية الثقافة، العديد من دراسات ومشاريع الباحثين الجامعيين المختصين المتضمنة اقتراحات مهمة مبنية على أسس علمية وميدانية، لكن للأسف **لم تؤخذ بعين الاعتبار** رغم الجهود الكبيرة التي خصصت لها(Sara Kermiche, 2015, p126)[19].

صورة رقم (08): انهيار بعض المعالم التاريخيةللمدينة العتيقة

المصدر:من التقاط الباحثة19 ديسمبر 2020

[18]. Baziz, N. (2018). La revalorisation du centre-ville Constantinois dans un contexte d'événement : Le cas du square Bennacer Bachir. Les Cahiers du Développement Urbain, 37-52. Université de Lausanne.

[19]. Kermiche, S. (2015). Quand l'histoire nourrit une vision d'avenir. Synergies Monde Méditerranéen, (5), 121-130

تجدر الإشارة كذلك إلى أن معظم المشاريع التي خصت المعالم التاريخية بالمدينة القديمة من خلال عمليات إعادة الاعتبار وتثمينها ضمن تلك التظاهرة، بقيت ورشات مفتوحة إلى يومنا هذا (سنة 2021) مثل مسجد سدي الكتاني (أنظر الصورة رقم (09))، وهناك مساجد أخرى أغلقت لهذا السبب ولا تزال مغلقة لحد الآن ما أدى إلى سوء حالتها وتدهورها أكثر مثل مسجد سيدي لخضر (أنظر الصورة رقم (10)).

بقيت بعض المعالم التاريخية بعيدة عن مشاريع الترميم وإعادة الاعتبار بالمدينة القديمة كقصر أحمد باي، ومباني أخرى لم يهتم بها تماما وأهملت بشكل كلي ما أدى إلى سوء حالتها واتجاهها نحو الاندثار مثل مسجد بو عبد الله الشريف القائم بالمدينة القديمة في الجهة السفلية لها.

صورة رقم (09): مسجد سدي الكتاني ورشة مفتوحة

صورة رقم (10):الحالة الإنشائية المزرية لمسجد سيدي لخضر

المصدر:من التقاط الباحثة 14 ديسمبر 2020

V. آليات الحفاظ وإعادة إدماج المعالم التاريخية بمدينة قسنطينة العتيقة

ساهمت عوامل عديدة في تدهور المعالم التاريخية لمدينة قسنطينة العتيقة حيث أصبح مهددا بالزوال، مما أدى إلى البحث عن آليات الحفاظ عليه وذلك باقتراح العديد من العمليات التي تهدف لاستغلاله في التنمية الاقتصادية للمدينة وبالتحديد في عمليات الجذب السياحي يمكن تلخيصها فيما يلي:

1. **ضرورة المحافظة على المعالم التاريخية للمدينة العتيقة**من خلال تثمين وإعادة الاعتبار للمباني ذات القيمة التاريخية، مع إعادة استخدامها بما يتناسب مع تاريخها وشكلها المعماري وقدرة استيعابها وتحملها للاستخدام الجديد، والذي يكون بوضع أنشطة حديثة أو تقليدية تخدم المجتمع، لهدف خلق قطب جاذب للسكان والزوار وكذلك السياح ومن ثم رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي لسكان المدينة.

2. **إحياء المهن والحرف التقليدية** التي تشتهر بها مدينة قسنطينة العتيقة (كالنقش على النحاس، الطرز التقليدي، تقطير الورد في موسم الربيع ....) لهدف استقطاب السياح والمساهمة في التنمية الاقتصادية للمدينة.
3. **ترميم المعالم التاريخية في المدينة العتيقة** وذلك بتكليف هيئة خاصة يشرف عليها باحثين ومختصين في علم الآثار بالقيام بعمليات الترميم من خلال المزاوجة بين التقنيات التقليدية، والتي تسمح بإعادة تأسيس وبناء المعلم التاريخي بنفس طريقة بنائه التقليدية، وبين التقنيات الحديثة التي تعطي لمسة مميزة تزيد وترتقي بالطابع الجمالي للمعلم كطلاء الواجهات وزخرفة الأسقف والجدران.
4. **وضع قوانين وتشريعات جديدة خاصة بالمعالم التاريخية** تحدد كيفيات وآليات الحفاظ عليها واستثمارها سياحيا، والحرص على تطبيقها على أرض الواقع من طرف مختصين.
5. **تشجيع الاستثمارللارتقاء بالمعالم التاريخية في مدينة قسنطينة العتيقة** وذلك بتشجيع عمليات الاستثمار فيها بإعادة تأهيلها والحفاظ عليها ومن ثم استغلالها كمواقع جذب سياحي.
6. **خلق جمعيات تعمل على نشر الوعي بين السكان** حول أهمية المعالم التاريخية في تعزيز الهوية الوطنية، وكيفية مساهمتها في التنمية الاقتصادية للبلاد باستغلالها في عمليات الجذب السياحي، وذلك من خلال حثهم على المساهمة في الحفاظ عليها واستثمارها كل بإمكانياته وقدراته.
7. **توفير الغلاف المالي الازم** للمصالح والجهات المسؤولة المختصة في المعالم التاريخية لتسهيل تجسيد عمليات ومشاريع الحفاظ عليها كالقيام بأعمال الترميم وإعادة الاعتبار.
8. **الاستفادة من التجارب العالمية الناجحة** سواء للدول العربية أو الغربية للمحافظة على المعالم التاريخية، وذلك من خلال تبادل الخبرات والمعارف بين الخبراء المحليين والأجانب.

خلاصة

تعاقبت على مدينة قسنطينة العتيقة عدة حضارات امتزجت مع بعضها مع مرور الزمن، وساهمت بشكل مباشر في تكوين معالم تاريخيةمتنوعة، حيث تميزت بموضعها الدفاعي الحربي وهذا ما جعلها قاعدة حربية محصنة، كما كانت مهدا للإشعاع الفكري والحضاري خاصة في العهد الإسلامي.

رغم المحاولات والنية الحسنة التي أبدتها الجهات المسؤولة في إعادة الاعتبار وتثمين المعالم التاريخية القائمة بمدينة قسنطينة العتيقة ضمن تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، إلا أنها باءت بالفشل في أغلبها

لأسباب عديدة مبهمة وغير واضحة وتحتاج إلى دراسة معمقة من طرف المختصين، كما أنها لم تشمل كل المعالم التاريخية ولم تأخذ بعين الاعتبار الدراسات العلمية التي اقترحت من طرف الباحثين و المختصين.
لذلك نقترح البحث عن آليات وسياسات واضحة للحفاظ على المعالم التاريخية القائمة بالمدينة العتيقة والارتقاء بها إلى أعلى المستويات، من خلال اقتراح العديد من العمليات التي تتطلب تظافر جهود كل أفراد المجتمع من مسؤولين وباحثين ومختصين وكذلك السكان، وهي تسعى إلى إعادة إدماجها ضمن مكونات النسيج الحضري للمدينة العتيقة وفق طريقة تخدم سكان المدينة وتلبي حاجيات العصر، دون المساس بالقيمة التاريخية لها، والعمل على استغلالها في عمليات الجذب السياحي.

قائمة المصادر والمراجع

- الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية. (1998). القانون 98- 04 المتعلق بحماية التراث العمراني المؤرخ بتاريخ 15 جوان 1998،المادة (17)، (44).
- الصادق مزهود. (1995). أزمة السكن في ضوء المجال الحضري: دراسة تطبيقية على مدينة قسنطينة، دار النور الهادف، الجزائر.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.(2017). ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته، جامعة الدول العربية.
- جميلة الهادي الحنيش، رضا الصادق الرميح.(2017). إعادة استخدام المبنى التاريخي والأثري (ذو القيمة) كمدخل للحفاظ عليه، المجلة الدولية للعلوم والتقنية، (9)، 01-20.
- عصام الدين محمد علي.(2020.)دور التشريعات المصرية في الحفاظ على التراث العمراني واستثماره سياحي،

in Symposium Webinar on Future of Urban Development : Al-Jouf Province (Opportnities and Challenges), El- Jouf University, 104-126.

- محمد المهدي بن علي شغيب.(1980). أم الحواضر في الماضي والحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة، دار البعث، قسنطينة، الجزائر.

- Baziz, N. (2018). La revalorisation du centre-ville Constantinois dans un contexte d'événement : Le cas du square Bennacer Bachir. *Les Cahiers du Développement Urbain*, 37-52. Université de Lausanne.
- Benidir, F. (2007). Urbanisme et planification Urbaine le cas de Constantine. Thèse de Doctorat en architecture Université Mentouri-Constantine- département d'architecture et d'urbanisme.
- Bouchareb, A. (2006). Cirta ou le substratum urbain de Constantine La région, la ville et l'architecture dans l'antiquité (Une étude en archéologie urbaine). Thèse de Doctorat d'Etat, Constantine : Université Mentouri, Constantine- département d'architecture et d'urbanisme.

- Centre National de Recherche en Archéologie. (22aout 2017). Mosquée de Sidi Lakhdar.Ministère de la culture. http://cnra.dz/atlas/mosquee-de-sidi-lakhdar/.
- Centre National de Recherche en Archéologie. (22aout 2017). Mosquée de souk El Ghezel. Ministère de la culture.http://cnra.dz/atlas/mosquee-de-souk-el-ghezel/
- Centre National de Recherche en Archéologie. (22aout 2017). Palais Ahmed Bey. Ministère de la culture. http://cnra.dz/atlas/palais-ahmed-bey/.
- Kermiche, S. (2015). Quand l'histoire nourrit une vision d'avenir. *Synergies Monde Méditerranéen*, (5), 121-130.
- Kherouatou, M. (2016). La mémoire vive au Cœur des cultures constructives à Constantine : un enjeu de sauvegarde. *Revue Sciences et Technologie D* – (43), 49-57, Université Frères Mentouri Constantine.
- Pincent. B, Rougdal, R., Panet, M., &Bentabet, A. (2008). Le pont sidi Rached à Constantine (Algérie) : une culée dans un grand glissement de terrain.*Bulletin du Service Géologique National, 19*(3), 197 – 215.
- Redjem**,**M. (2017). Le rôle de la mosquée en Algérie dans la configuration de la ville à l'époque coloniale française. *Architecture, Arts Magazine*, 1-9. https://mjaf.journals.ekb.eg/article_20680_73fe073521bd5a9cfbf62e7f7a092353.pdf 15/12/2020